تعليقات على

تذكرة السامع والمتكلم في أداب العالم والمتعلم

تصْنِيف

القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله

ابن جماعة الكناني الشافعي

ت (٦٣٩-٧٣٣هـ)

للشَّيخ صالح بن عبد الله العُصيمي

مسودَّة

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الأول ليلة الخميس ١٤٣٠/١٠/٢٦

الحمد لله الذي جعل طلب العلم من أجل القربات وتعبدنا به طول الحياة إلىٰ الممات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ ما عُقِدت مجالس التعليم وعلىٰ آله وصحبه المقدمين في مراتب التكريم.

أما بعد

فهٰذه [الدروس] في الكتاب الأول من برنامج (**التعليم المستمر**) في سنته الأولىٰ سنة ثلاثين بعد الأربعمائة والألف (١٤٣٠) وهو كتاب «**تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**» للعلامة محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله البر الرحيم، الواسع العليم، ذي الفضل العظيم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد النبي الكريم، المنزل عليه في الذكر الحكيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤] وعلىٰ آله وأصحابه الكرام - جواره في دار النعيم.

أما بعد، فإن من أهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه: حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله، واتفقت الآراء والألسنة علىٰ شكر أهله. وإن أحق الناس بهٰذه الخصلة الجميلة وأولاهم بحيازة هٰذه المرتبة الجليلة؛ أهل العلم الذين حَلُّوا به ذروة المجد والسناء وأحرزوا به قصبات السبق إلىٰ وراثة الأنبياء؛ لِعِلْمهم بمكارم أخلاق النبي ﷺ وآدابه وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه وبما كان عليه أئمة علماء السلف واقتدىٰ بهديهم فيه مشايخ الخلف.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذه الجملة جلالة حسن الأدب وأهميتَه فذكر أنه (من أهم ما يبادر به اللبيب شَرْخَ شبابه ويُدْئِبُ نفسه في تحصيله واكتسابه) واللبيب هو: ذو اللُّب واللُّب: العقل وشرخ الشباب: أوله ومعنىٰ قوله: (يُدْئِبُ نفسه في تحصيله واكتسابه) أي يُجْهِد نفسه ويُتْعِبُها في تحصيله واكتسابه فأهم ما يبادر به اللبيب أول عمره ويجعل فيه قوته وجَهْدَه؛ تحصيل واكتساب (حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله، واتفقت الآراء والألسنة علىٰ شكر أهله) فالشرع والعقل متواطئان علىٰ بيان فضيلة الأدب والآراء والألسنة متفقتان علىٰ شكر أهله والآراء هي: حكم الأذهان والألسنة هي: حكم البيان فاجتمع حكم الأذهان وحكم البيان علىٰ شكر أهل الأدب و(أحق الناس بهٰذه الخصلة الجميلة) في اكتساب الآداب (وأولاهم بحيازة هٰذه المرتبة الجليلة) هم (أهل العلم) المشتغلون بتحصيله فإن العلم جمال ولا يناسب الجمال إلا الجمال فحسن الأدب جمال في الظاهر والباطن يزداد به العلم جمالا وقد قال في وصف أهل العلم قال: (الذين حلُّوا به ذروة المجد والسناء) أي أعلىٰ المجد والسناء فإن "الذّروة" بضم الذال وتكسر وذُكر الفتح أيضا هي: أعلىٰ الشيء، ومن وصفهم أيضا أنهم (أحرزوا قَصَبَات السبْق) وقصبات السبق: كانت العرب فيما سلف فيما تعقده من سباق تجعل غايته إلىٰ قصبة أي نبات له ساق فإن القصبة: اسم للنبات الذي له ساق طويل ومنه نبات القصب المعروف فالذي يسبق إلىٰ

هٰذه القصبة وينتزعها فهو المقدم علىٰ غيره ثم استُعمل هٰذا التركيب: (**قَصَب السَّبْق**) للدلالة علىٰ الجِدِّ والتشمير والاجتهاد فإذا قيل: (فلان ممن حاز قصب السبق) أي تقدم علىٰ غيره بجده واجتهاده وتشميره وأهل العلم هم بعلمهم في ذروة المجد والسناء وقد أحرزوا أعظم السبق بما تحلوا به من وراثة الأنبياء فإن العلم ميراث النبوة كما سيأتي. ويحدوهم علىٰ تحصيل حسن الأدب (علمهم بمكارم أخلاق النبي ﷺ وآدابه وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه وبما كان عليه أئمة علماء السلف واقتدىٰ بهديهم فيه مشايخ الخلف) فهم حينئذ أولىٰ أن يسيروا بسيرهم وأن يهتدوا بهديهم وأن يمتثلوا طريقتهم.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن سيرين: (كانوا يتعلمون الهدىٰ كما يتعلمون العلم).

وقال الحسن: (إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين).

وقال سفيان بن عيينة: (إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر وعليه تعرض الأشياء علىٰ خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل).

وقال حبيب بن الشهيد لابنه: (يا بني؛ اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم؛ فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث).

وقال بعضهم لابنه: (يا بني لأن تتعلم بابًا من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم).

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك: (نحن إلىٰ كثير من الأدب أحوج منا إلىٰ كثير من الحديث).

وقيل للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: (أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا فتنعم به). قيل: وكيف طلبك له؟ قال: (طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره).

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ جلالة حسن الأدب وأهميته؛ أردف ذلك بذكر جملة من الآثار المروية عن أئمة الهدىٰ من التابعين فمن بعدهم في بيان علو حسن الأدب وأهميته وقدَّم أولا قول ابن سيرين وهو: محمد قال: (كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم) والهَدْي: اسم يُطْلقه السلف يريدون به الأدب وقد يطلقونه يريدون به: ما يشمل الطريقة كلها فيقولون: فلان علىٰ هدي حسن - أي علىٰ طريقة حسنة وقد يقصدون به معنىٰ خاصا يريدون به: الأدب ومنه هٰذا المعنىٰ في كلام ابن سيرين فإن ابن سيرين أراد بـ(الهدي) هنا: الأدب؛ لأنه ذكر بعض الطريقة بعده إذ قال: (كما يتعلمون العلم) وقوله: (كانوا) أي المشيخة السابقة التي أدركها وهم الصحابة رضوان الله عنهم وكبار التابعين فإن (كانوا) إذا جاءت في الآثار الواردة عن التابعين وأتباع التابعين فمن بعدهم يراد بها: أحد معنيين:

أحدهما: **معنىٰ عام** يراد به المشيخة المتقدمة ممن أدركهم المتكلم فإذا كان المتكلم قد أدرك الصحابة صار مراده: الصحابة وإذا كان قد أدرك التابعين صار مراده: التابعين وهلم جرا.

والثاني: **معنىٰ خاص** وهو إذا جاء في كلام إبراهيم النخعي قوله: (كانوا يفعلون) أو (كانوا يأمرون) أو

(كانوا يرون) فالصحيح أن إبراهيم النخعي إذا قال هٰذا فالمراد به: أصحاب عبدالله بن مسعود في أصح قَوْلَيْ أهل العلم فالآثار المذكورة في كلام إبراهيم النخعي من قوله: (كانوا يرون) أو (كانوا يأمرون) أو (كانوا يحسَبون) المراد بها: أصحاب عبدالله بن مسعود من مشيخته الذين أدركهم في الكوفة.

وسبق الإنباه إلىٰ جلالة هٰذا الأصل وعظمته؛ فإنه شائع في كلام إبراهيم النخعي؛ لعظمة تلك المدرسة العلمية التي أسسها عبدالله بن مسعود في الكوفة.

ثم أتبعه بقول الحسن وهو: البصري فإن (الحسن) إذا أُطلِق لم ينصرف إلا إلىٰ البصري. قال: (إن كان الرجل ليخرج في أدب يكسبه السنين ثم السنين) أي إن كان الرجل ليسافر في أدب يطلبه؛ فإن الخروج يُطلَق ويراد به: السفر فمن جلالة الأدب أنهم كانوا يخرجون في طلبه سنين عددا.

ثم ثلَّث بقول سفيان بن عيينة: (إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر وعليه تُعرض الأشياء: علىٰ خُلُقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل) وأراد بذلك: بيان أن المعيار الأعظم في تجلية الآداب الفاضلة الكريمة هو: ملاحظة هدي النبيه في خُلُقه وسيرته وهديه فما كان عليه النبيه فهو أكمل من هدي غيره وبه يُعلم أن من طرائق غرس الآداب في النفوس: الخبر عن هديه ﷺ وسيرته وما كان عليه؛ فإن النفوس المؤمنة تتشوف إلىٰ متابعة هديه ﷺ في دقيق الأمور وجليلها فإذا ذُكِّر الخلق بما كان عليه ﷺ من خُلُق كريم كان ذلك أحرىٰ في قبولهم له وتتبعهم إياه ﷺ.

ثم ذكر أثرا رابعا عن حبيب بن الشهيد أنه قال لابنه: (يا بني؛ اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إليَّ من كثير من الحديث) أي ما تأخذه من أدبهم ودلِّهم وهديهم هو أحب إليَّ مما تأخذه من علمهم وقد جاء في سيرة مالك بن أنس الأصبحي مولاهم إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أمه كانت تعممه وتقول: (يا بنيّ؛ اذهب إلىٰ ربيعة -يعني: ربيعة الرأي فقيه أهل المدينة- فتعلم من أدبه قبل علمه) فكانوا يرون أن من مقاصد صحبة الشيوخ التأدب بآدابهم ويحضون علىٰ ذلك ويقدمونه في الأخذ علىٰ العلم كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض القرشيين: (يا ابن أخي؛ تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم) فأعظم مقاصد صحبة الأشياخ: امتثال ما هم عليه من هدي ودلّ.

ولما عقل أئمة الهدىٰ فيما سلف هٰذا الأصل العظيم كانت صحبتهم لأشياخهم تطول كما روىٰ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب «الحلية» بسند صحيح عن العباس بن عبد العظيم عن مالك بن أنس قال: كان

الرجل يختلف إلىٰ الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه العلم ومرادهم بهٰذه الصحبة: ملاحظة أحوالهم والتحلي بكمالاتهم ومراقبة هديهم ودلِّهم في تعليمهم وإرشادهم وإفتائهم وما يكونون عليه في أوقات النوازل والشدائد فإن هٰذا المعنىٰ من أعظم معاني صحبة الأشياخ.

ثم أتبعه بأثر خامس عن بعضهم أنه قال لابنه: (يا بنيّ؛ لأن تَعَلَّمَ بابا من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين بابا من العلم) وفيه بيان جلالة الأدب حتىٰ قُدِّمَ تعلم الباب الواحد منه علىٰ تعلم سبعين بابا من العلم؛ لأن انتفاع الإنسان بالأدب أعظم من انتفاعه بالعلم بل لا يصل الإنسان إلىٰ مقصوده من العلم إلا بالأدب كما قال يوسف بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: (بالأدب تفهم العلم) ومعنىٰ هٰذه الجملة **أحد شيئين**:

أولهما: هو أن الأشياخ يلاحظون آداب المتعلمين فما وجدوه متأهلا بأدبه أعطوه ما شاء من العلم ومن وجدوه سيئ الأدب حرموه.

والثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يلاحظ في خَلْقه هٰذا المعنىٰ فمن كان حسن الأدب فتح له أبواب الفهم؛ لأن العلم حُرٌّ مَصُون لا يجعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عند كل أحد وإنما يضعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في النفوس الصالحة له فإنه ميراث النبوة وكما أن النبوة اصطفاء؛ فإن ميراثها التام هو اصطفاء أيضا فيلاحظ الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك في قلوب الخلق فمن وجده متأهلا لذلك بما عليه من أدب سهّل له فهم العلم.

ثم أتبعه بأثر سادس عن مخلد بن الحسين أنه قال لابن المبارك: (نحن إلي كثير من الأدب، أحوج منا إلىٰ كثير من العلم) هٰذا يقوله في زمانه وأهله فكيف القول في زماننا وأهله؟! فصدق الضمير (نحن) علينا أصدق من صدقه عليهم رحمهم الله تعالىٰ فلنحن أحوج إلىٰ كثير من الأدب منا إلىٰ كثير من العلم كما قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا تَأْتِيَـنَّ بِذِكْـرِنَا مَـعْ ذِكْـرِهِمْ لَيْـسَ الصَّـحِيحُ إِذَا مَشَـىٰ كَالْمُقْعَـدِ

وقد أشرف الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ بعض أصحاب أهل الحديث فكأنه كره منهم شيئا فقال: (أنتم إلىٰ يسير من الأدب أحوج منكم إلىٰ كثير من الحديث الذي تطلبون).

فحاجة الإنسان إلىٰ الأدب عظيمة جدا.

ثم ختم بأثر سابع عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سُئل: (كيف شهوتك للأدب؟) والمقصود بالشهوة: كيف ميلُ قلبك وطِلْبَته للأدب؛ فإن المطلوبات من المرادات لا تتحرك إلا بحب وإرادة ومن جملة ذلك

الشهوة التي تعترم الإنسان في طلب أمر ما ومن جملة تلك الشهوات: شهوة العلم وهي موجودة في كلام كثير من أعلام الهدىٰ رحمهم الله تعالىٰ وهي من أجل الشهوات النفسية فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك فقال: (أسمع بالحرف منه) والحرف عندهم أشمل من المعنىٰ الذي قُصِر عليه عند المتأخرين فإنهم قد يريدون بالحرف: الجزء من الكلمة وقد يريدون بالحرف: الكلمة وقد يريدون بالحرف: الجملة من الكلام وقد يريدون بالحرف: الكلام كله فيطلقون علىٰ أمر مستطير مستفيض من الكلام: حرفا كما سُميت القراءات حروفا بهٰذا الاعتبار.

فقال: (أسمع بالحرف منه) أي من الأدب (مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا فتتنعم به) فجعل من شهوته في طلب الأدب: أن يود أن يكون لأعضائه كلها أسماع كي تتنعم بلذة ما تسمعه من الأدب ثم سئل: (وكيف طلبك له؟ فقال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره) وهٰذا أقصىٰ غاية الطلب فقد جمعت بين أوصاف ثلاثة:

أولها: أنها امرأة والمرأة أضعف من الرجل.

وثانيها: أنها امرأة مُضِلَّة ولدها الذي هو فَلَذة كبدها والمرأة إذا ضلت ولدها انتابها من الحال ما تعلمون وتشهدون.

ثالثها: ثم هي امرأة أضلت ولدا ليس لها غيره فهي إذا فقدت هٰذا الولد لم تجد بعده معينًا وناصرًا ولِيًّا من الذرية فهو ولدها الوحيد وهٰذه الحال هي أبلغ ما تكون في طلب المقصود فكانت حال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلب الأدب هٰذه الحال العظيمة.

وإذا أردت أن تعرف حالنا وحالهم فانظر إلىٰ حالك أثناء استذكارك لاختباراتك في مقرراتك الدراسية النظامية فإنك تجد فيها من الإقبال وشدة الطلب معنىٰ لا تجده في غيره وكانت تلك حالهم رحمهم الله تعالىٰ فإنهم كانوا يحفظون ويتذاكرون ويطالعون ولهم نهمة شديدة في ذلك دون ملاحظة حال امتحان تُرْجَىٰ إليها فصل أحوالهم في الدنيا وإنما كان طلبهم للعلم لذة وتنعما به دون سائق يسوقهم إليه بمثل ما يساق الناس إليه من الترغيب والترهيب في الدراسة النظامية وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم متحليا بطريقة السلف رحمهم الله تعالىٰ في شدة حرصه وطلبه للعلم فإن المرء إذا كان له شهوة في العلم أعانه ذلك علىٰ فهمه فإن المرء إذا لم تكن له شهوة وميل لم يستطع الفهم وإذا كان له

شهوة وإرادة وميل ورغبة فيما يطلب كان ذلك من أعظم ما يعينه علىٰ تحصيل مقصوده وإذا حُجب الإنسان عن هٰذه الشهوة والطِّلْبَة فإنه لا ينال مقصوده مما طلب.

وقد لقيتُ رجلا أقام ثلاثين سنة في (ألمانيا) وهو لا يحسن إلا ألفاظا يسيرة من اللغة الألمانية فسألته: كيف عشت هناك ولم تتعلم اللغة؟! فقال: إن الإنسان إذا لم تكن له إرادة لم يتعلم.

وصدق فإن هٰذا الرجل لم تكن له إرادة في تعلم تلك اللغة ولا رغبة فيها فلم يتعلمها فإذا كان للإنسان رغبة وإرادة وميل وشهوة في طلب شيء ما حصَّله ومن جملة ذلك: العلم فينبغي أن يُذْكي الإنسان في قلبه شهوة طلبه وأن يؤنس التلذذ بهٰذه اللذة العظيمة في تفتيش العلم وجمعه فإنها من أعظم اللذات النفسانية.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولما بلغت رتبة الأدب هٰذه المزية وكانت مدارك مفضلاته خفية؛ دعاني ما رأيت من احتياج الطلبة إليه وعسر تكرار توقيفهم عليه، - أما لحياء فيمنعهم الحضور، أو الجفاء فيورثهم النفور- إلىٰ جمع هٰذا المختصر مذكرًا للعالم ما جُعِل إليه ومنبهًا للطالب علىٰ ما يتعين عليه وما يشتركان فيه من الأدب وما ينبغي سلوكه في مصاحبة الكتب، ثم أدب من سكن المدارس منتهيًا أو طالبًا؛ لأنها مساكن طلبة العلم في هٰذه الأزمنة غالبًا.

وجمعت ذلك مما اتفق في المسموعات أو سمعته من المشايخ السادات أو مررت به في المطالعات أو استفدته في المذاكرات وذكرته محذوف الأسانيد والأدلة؛ كيلا يطول علىٰ مطالعه أو يمله.

وقد جمعت فيه بحمد الله تعالىٰ من تفاريق آداب هٰذه الأبواب ما لم أره مجموعًا في كتاب وقدمت علىٰ ذلك بابًا مختصرًا في فضل العلم والعلماء علىٰ وجه التبرك والاقتداء.

وقد رتبته علىٰ خمسة أبواب تحيط بمقصود الكتاب:

الباب الأول: في فضل العلم وأهله وشرف العالم ونبله.

الباب الثاني: في آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه.

الباب الثالث: في أدب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه.

الباب الرابع: في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الأدب.

الباب الخامس: في آداب سكنىٰ المدارس وما يتعلق به من النفائس.

وقد سميته: «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم».

والله تعالىٰ يوفقنا للعلم والعمل ويبلغنا من رضوانه نهاية الأمل.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذه الجملة الحامل له علىٰ تأليف الكتاب وطريقته في جمعه ونسقه في ترتيبه ثم صرح باسمه.

فأما الحامل له علىٰ تأليف هٰذا الكتاب فإن محصَّل ما ذكره: أنه صنف هٰذا الكتاب لأمور ثلاثة:

أولها: رعاية رتبة الأدب ومزيتها.

وثانيها: أن مدارك الأدب يخفىٰ تفصيلها.

وثالثها: احتياج الطلبة إلىٰ الأدب وعسر تكرار توقيفهم عليه إما لحيائهم أو لجفائهم.

ثم ذكر مصدر أخذه لهٰذه الآداب فذكر أنه جمعها مما اتفق في مسموعاته أو سمعه علىٰ بعض مشايخه أو التقطه مما طالعه أو استفاده في الْمُذَاكَرَات.

ثم بين أنه يذكرها محذوفة الأسانيد والأدلة؛ لئلا يطول الكتاب وما ذكره من حذف الأسانيد هو شيء التزمه وأما حذف الأدلة فإنه ذكر في مواضع أدلة لجملة من الآداب وأغفل ذلك في مواضع أخرىٰ.

ثم ذكر أن كتابه هٰذا قد جمع (من تفاريق آداب هٰذه الأبواب) ما لم يره مجموعا في كتاب وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ فإن كتابه هٰذا من أحسن الكتب المصنفة في أدب الطلب وقدم بين يدي هٰذا الكتاب (بابا مختصرا في فضل العلم والعلماء علىٰ وجه التبرك) بما فيه من الآيات والأحاديث وطلبا للاقتداء بما كانوا عليه رحمهم الله تعالىٰ.

ثم ذكر أنه رتب الكتاب في خمسة أبواب تحيط بمقصوده وعقد رَحِمَهُ اللَّهُ تراجم لهٰذه الأبواب ناقضها في مواضعها من الكتاب فإنه في كل موضع من مواضع هٰذه الأبواب كما سيأتي ترجم بألفاظ أخرىٰ إما مقارِبة وإما مباعِدة والأصل أن يبقىٰ المرء فيما ترجم به علىٰ الحال نفسها سواء ذكر ذلك في مقدمة كتابه أو ذكره في ثنايا كتابه فإذا قال: إن الباب الأول هو: كذا وكذا لزمه أن تكون هٰذه الترجمة في موضعها دون تغيير.

ثم صرح رَحِمَهُ اللَّهُ باسم كتابه فقال: (**وقد سميته: «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»**) والتذكرة: تفعلة من الذُّكر وهو: التذكر فأراد أن تكون مُذَكِّرَة للمشتغل بطلب العلم بهٰذه الآداب والغالب أن التذكرة إنما تكون مُسَاقَةً لمن عنده بصيرةٌ متقدمة فيحتاج إلىٰ مُذَكِّرٍ يذكره بها بخلاف التبصرة فالتبصرة في الابتداء والتذكرة في الانتهاء كما قال العراقي في«ألفيته» :

جَعَلْتُـــهَا تَبْصَـــرَةً لِلْمُبْتَـــدِي تَذْكِـــرَةً لِلْمُنْتَـــهِي وَالْمُسْنِـــدِ

فالمناسب للمبتدئين تبصيرهم فيما يحتاجون غليه والمناسب للمنتهين تذكيرهم بما هم عليه فكأنه هو مراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

الباب الأول: في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه

هكذا قال المصنف في هٰذا الموضع: (الباب الأول: في فضل العلم والعلماء وفضل تعليمه وتعلمه) وتقدم أنه ترجم له بقوله: (الباب الأول: في فضل العلم وأهله، وشرف العالم ونبله) واختلاف التصرف مما يورث الضعف والأصل أن الإنسان إذا تصرف في العلم بكلام أن يبقىٰ علىٰ ما تصرف به أولا فإذا أشار أنه يذكر كيت وكيت فإنه يذكره في محله كما ذكره في المحل المقدم وابن جماعة كان من أذكياء الناس؛ ولكن قد يعرض للمخلوق من النقص ما يتبين به كمال الخالق ﷻ فكأنها الحال التي عرضت للمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١] قال ابن عباس: «العلماء فوق المؤمنين بسبع مائة درجة، ما بين الدرجتين مائة عام». وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨]. بدأ سبحانه بنفسه، وثَنَّىٰ بملائكته، وثَلَّثَ بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفًا وفضلاً، وجلالة ونبلاً.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[العنكبوت: ٤٩] وقال تعالىٰ:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨] ، وقال تعالىٰ:﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٧] إلىٰ قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٨].

فاقتضت الآيتان أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالىٰ، وأن الذين يخشون الله تعالىٰ هم خير البرية، فينتج أن العلماء هم خير البرية.

ابتدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر الأدلة المفصحة عن فضل العلم والعلماء، وفضل تعلمه وتعليمه، فذكر بين يدي ذلك مقدما لها علىٰ غيرها، آيًا من القرآن الكريم عدتها سبع آيات:

أولها: قول الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١] وفضيلة العلم فيها بما ذكر الله ﷻ من رفعة أهل العلم بالدرجات، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مائة عام" والمقطوع به وجود الرفعة، وأما ترتيب قدرها فلم يثبت فيه شيء، لا عن ابن عباس، ولا عن غيره من أهل العلم.

وقد ذكر الله ﷻ هٰذه الرفعة في موضع آخر فقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣] قال مالك بن أنس في تفسير هٰذه الآية ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قال زيد بن أسلم: (**بالعلم**) رواه الإمام أحمد في «مسنده» في مسند عثمان بن عفان من «المسند» وإسناده صحيح.

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» أن الله ﷻ لم يذكر في القرآن الرفعة إلا بالإيمان والعلم. فأعظم ما تحصل به الرفعة في الدنيا والآخرة هما هٰذان الأمران العظيمان: العلم والإيمان.

ثم ذكر آية ثانية في فضل العلم هي قوله الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] الآية. واستنبط المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ شرف أهل العلم منها بقوله: (بدأ سبحانه بنفسه، وثنىٰ بملائكته، وثلث بأهل العلم) فجعل المبيِّن لفضل أهل العلم: أن الله ﷻ ثلث بهم بعد البداءة بنفسه، والتثنية بملائكته.

وأحسن من هٰذا أن يقال: إن الله ﷻ قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته علىٰ وحدانيته، فإن معنىٰ الاقتران لا تظهر فيه فضيلة عظمىٰ، وإنما الفضيلة العظمىٰ في كونهم شهودا أشهدهم الله ﷻ علىٰ أمر عظيم هو: وحدانية الله ﷻ ، وهٰذه الآية تدل علىٰ فضل العلم وشرف أهله من عشرة وجوه، بسطها ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» ولخصها ابن سعدي في «تفسيره» عند هٰذه الآية، فلتنظر هناك.

ثم ذكر آية ثالثة وهي قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩] وهٰذا استفهام علىٰ سبيل الإنكار، فليس المراد بالاستفهام: الاستخبار، كما هي حقيقته، وإنما المراد: الإنكار، فكأن معنىٰ الآية: لا يستوون، فلا يستوي أهل العلم، مع أهل الجهل، فالآية في تفضيل أهل العلم.

ثم ذكر آية رابعة وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] والمراد بالذكر هاهنا: الكتاب المنزل من الله ﷻ .

فإن الذكر له معنيان اثنان:

أحدهما: الكتاب القدري، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فإن الذكر في هٰذه الآية يراد به: الكتاب القدري وهو اللوح المحفوظ.

والثاني: أن الذكر: الكتاب الشرعي، المنزل من الله تعالىٰ، ومنه: التوراة والإنجيل كما في هٰذه الآية فإنها هي المرادة في السياق، ومنه: القرآن كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ذكر هذين المعنيين للذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم ذكر آية خامسة في فضل العلم، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] بعد قوله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ففي هٰذا بيان شرف العلم؛ لأن أهل العلم هم أهل العقل، فالأمثال التي يضربها الله ﷻ لا يعقلها ويفهم مغزاها ومرادها إلا أهل العلم، ففي ذلك وصفهم بالعقل الكامل، بخلاف غيرهم، فإنهم لا عقل لهم.

ثم ذكر آية سادسة وهي قوله تعالىٰ:﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[العنكبوت: ٤٩] والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ الضمير راجع إلىٰ القرآن الكريم، فالقرآن الكريم آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وهٰذه الآية في السياق متعلقة بالنبي ﷺ فهو وصفٌ لمحل الآيات البينات منه ﷺ ولذلك جعل الطاهر بن عاشور في تفسيره الجمع في هٰذه الآية للتعظيم؛ لأن المراد بذلك هو: النبي ﷺ فجمع صدره ثم ذُكر الاسم الموصول الدال علىٰ الجمع وهو: (ٱلَّذِينَ) تعظيما للنبي ﷺ وهٰذا الذي قاله الطاهر بن عاشور صحيح باعتبار دلالة السياق، فإن سياق الآيات متعلق به ﷺ وباعتبار المعنىٰ فإنه إذا صح له ذلك ﷺ فإنه يصح لكل من كان مُتَّبِعًا له من أهل القرآن من أهل العلم به وتفسيره والعمل به، فالقرآن في حقهم آيات بينات في صدورهم.

وهٰذه الآية ذكر الله ﷻ فيها المحل الأوسع لنزول القرآن علىٰ النبي ﷺ وأنه الصدر، ثم ذكر في آية أخرىٰ محلا أخص من ذلك فقال ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء] فذكر ما هو أخص من الصدر وهو: القلب، فإنزال القرآن علىٰ النبي ﷺ محله: القلب من الصدر كله.

ثم ذكر في آية ثالثة محلا أخص وهو: الفؤاد فقال تعالىٰ:﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢] والفؤاد أخص من القلب، فإنه بعض القلب، فإنزال القرآن محله وإدراكه من النبي ﷺ هو: الفؤاد الكائن في القلب الكائن في الصدر، وذُكر في هٰذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ ذُكر المحل الأوسع الأرحب ثم بُيِّن في آية «الشعراء» بُيِّن فيها محله من الصدر وهو: القلب، ثم بُيِّن ثالثا محله من قلب النبي ﷺ وهو: فؤاده.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ آية سابعة وهي قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]

ومعنىٰ هٰذه الآية: أن العلماء هم أهل خشية الله ﷻ وإنما كانوا أهل خشيته؛ لأن قلوبهم تجتمع علىٰ خوف مقرون بعلم، فإن الخوف عبادة من العبادات التي تعبد الله ﷻ بها خلقه، ثم قسم ﷻ بينهم حظوظهم منها، ومن جملة هٰذه الحظوظ: الخشية، فإن الخشية مختصة بالخوف المقترن بالعلم، ولا يكون هٰذا إلا للعلماء، ولذلك خص الله ﷻ هٰذه العبادة بهم، وكونهم أهل خشية الله ﷻ يستحقون الجزاء الوارد في سورة «البينة» إذ وصف الله ﷻ فيها أهل خشيته فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾[البينة: ٧] فالعلماء الذين هم أهل الخشية هم خير البرية، ولهم من الجزاء ما ذكر الله ﷻ في آخر سورة «البينة» وهؤلاء الآيات السبع هي من جملة الآي الكثيرة الدالة علىٰ فضل العلم، وشرف أهله، وقد بسط ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلة القرآنية علىٰ فضل العلم في كتاب «مفتاح دار السعادة» بسطا لا تراه لغيره، فكتابه هو أوسع الكتب التي ذكرت فضائل العلم الواردة في القرآن الكريم أولا، ثم أتبعها بعد ذلك بذكر فضائل العلم في سنة النبي ﷺ.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» وعنه ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، وحسبك بهٰذه الدرجة مجدًا وفخرًا، وبهٰذه الرتبة شرفًا وذكرًا، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة، فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة.

وعنه ﷺ لما ذُكِرَ عنده رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ».

وعنه ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سُلِكَ بِهِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِرِضَىٰ اللهِ عَنْهُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ؛ حَتَّىٰ الحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلُمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها، وأنه لَيُنَافَسُ في دعاء الرجل الصالح أو مَنْ يُظَنُّ صلاحه، فكيف بدعاء الملائكة؟! وقد اختلف في معنىٰ وضع أجنحتها، فقيل: التواضع له، وقيل: النزول عنده والحضور معه، وقيل: التوقير والتعظيم له، وقيل معناه: تحمله عليها فتعينه علىٰ بلوغ مقصده.

وأما إلهام الحيوانات بالاستغفار لهم؛ فقيل: لأنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم، والعلماء هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم ويوصون بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها.

لما فرغ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر الأدلة القرآنية، أتبعها بجملة من الأحاديث النبوية، جعل صدرها قول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» المخرَّج في الصحيحين، وفيه بيان فضيلة الفقه في الدين، وأن من أراد الله ﷻ به خيرا يسر له الفقه في الدين.

وتقدم أن الفقه هو: إدراك خطاب الشرع مع العمل به.

قد نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» إجماع أهل العلم علىٰ أن اسم الفقه لا يكون إلا إذا اجتمع العلم مع العمل.

ثم أتبعه بحديث ثانٍ وهو: (وعنه ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ») وهو قطعة من حديث يأتي قريبا.

ثم ذكر بعد ذلك حديثا ثالثا وهو: (وعنه ﷺ لما ذُكر عنده رجلان أحدهما عابد، والآخر عالم فقال: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ») وهٰذا حديث رواه الترمذي وغيره ولا يثبت، وفي قوله ﷺ: («فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ») بيان أن الفضيلة العالم علىٰ العابد، كفضيلته ﷺ علىٰ أدنىٰ أصحابه مرتبة، فمرتبة النبوة جُعلت بمنزلة مرتبة العلم؛ لأنها ميراث النبوة كما سيأتي، والنبي ﷺ في فضلها متقدم صلوات الله وسلامه عليه علىٰ كل الصحابة، وفضله يبلغ في فرق العالم علىٰ العابد كالفرق بين فضله ﷺ علىٰ أدنىٰ الصحابة.

ثم ذكر حديثا رابعا وهو حديث أبي الدرداء المشهور: («مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سُلِكَ بِهِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ...») إلىٰ آخره، وهٰذا حديث أخرجه الأربعة إلا النسائي، وإسناده حسن، وهو من أجلِّ الأحاديث في بيان فضيلة العلم، ولأبي الفرج ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب مفرد في شرح هٰذا الحديث أوعب في بيان معانيه فليرجع إليه.

ومن المعاني التي اشتمل عليها هٰذا الحديث في فضل العلم: ما ذكره المصنف في قوله: (واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها)، فمن أعظم فضائل العلم وأهله أن الملائكة تستغفر لأهل العلم، وتدعو لهم، وتضع أجنحتها لهم.

ثم قال: (وإنه ليُنافَس في دعاء الرجل الصالح أو من يُظَنُّ صلاحه فكيف بدعاء الملائكة؟!) أي إنه ليُنافَس في التماس دعاء الرجل الصالح أو من يُظَنُّ ويغلب علىٰ الظن صلاحه، فإن من المقاصد المشروعة في التوسل: التوسل بدعاء رجل صالح.

لكن هٰذه المنافسة ليست علىٰ ما أطلق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن المنافسة إنما تكون في شيء أعز من غيره، وليس دعاء الرجل الصالح كذلك، بل أعز منه دعاء الرجل لنفسه، فإن دعاء الرجل لنفسه أكمل من التماس الدعاء من رجل صالح؛ ولهٰذا كان أصحاب النبي ﷺ الأكابر منهم كـ: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، لا يسألون النبي ﷺ الدعاء لهم، وإنما كان يسأله ذلك أفراد الناس، وأغمارهم من الأعراب وغيرهم، كما ذكر أبو العباس ابن تيمية الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القاعدة الجليلة» فالحال الأكمل هي أن يدعو الإنسان لنفسه، وعلىٰ هٰذا جرىٰ عمل السلف رحمهم الله.

ثم قوله: (فكيف بدعاء الملائكة؟!) يوهم أن دعاء الملائكة أفضل من دعاء الرجل الصالح، وهٰذا مخرَّج علىٰ مسألة شهيرة وهي مسألة: القول بفضل الملائكة وأنهم أفضل من صالحي البشر، والصحيح: أن صالحي البشر أفضل من الملائكة؛ لأن الله ﷻ تعبدهم بالأمر والنهي، فإذا وَفَّوْا كانوا علىٰ حال أكمل من حال غيرهم.

ثم ذكر بعد ذلك الاختلاف في معنىٰ وضع الأجنحة فقال: (فقيل: التواضع له، وقيل: النزول عنده والحضور معه، وقيل: التوقير والتعظيم له، وقيل: معناه: تحمله عليها فتعينه علىٰ بلوغ مقصوده) وهٰذه المعاني التي ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ كلها مما يدخل في جملة معنىٰ وضع الأجنحة، وأما الأخير وهو الحمل فيحتاج إلىٰ دليل مصرِّح بأنها تحمله وتعينه علىٰ بلوغ مقاصده، وإنما الذي جاء به الدليل هو: الوضع، والوضع إنما يراد به: التواضع والحضور معه والتوقير والتعظيم، فهٰذه المعاني دلت عليها أدلة أخرىٰ، أما المعنىٰ الأخير فإنه يفتقر إلىٰ دليل يدل عليه.

ثم ذكر أن السر في إلهام الحيوانات بالاستغفار لهم؛ (لأنها خلقت لمصالح العباد ونفعهم، والعلماء هم الذين يبينون ما يحل منها وما يحرم، ويوصون بالإحسان إليها، ونفي الضرر عنها) وبكلام مختصر يقال: إن الحامل للحيوانات علىٰ الاستغفار لهم هو: أن جميع ما يصلها من الإحسان هو بسبب تعليم العلماء، فما يصلها من إحسان في الصيد أو إحسان في القتلة أو إحسان في السقيا والإطعام فكله بتعليم العلماء فألهمت الحيوانات الاستغفار لهم لما أوصلوا إليها من خير بما علموا الناس من وجوه الإحسان إلىٰ الحيوانات.

وهٰذا آخر ما يحتاج إليه من بيان هٰذه المعاني .

الدرس الثاني

ليلة الخميس ٣-١١-١٤٣٠

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعنه ﷺ : «يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ» وعنه ﷺ يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، قال بعضهم: هٰذا مع أن أعلىٰ ما للشهيد دمه وأدنىٰ ما للعالم مداده.

وعنه ﷺ: «ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد علىٰ الشيطان من ألف عابد».

وعنه ﷺ: «يحمل هٰذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». وفي حديث: «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»، وروىٰ: «العلماء يوم القيامة علىٰ منابر من نور».

ونقل القاضي حسين بن محمد رحمه الله في أول تعليقه أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة أيام حياته».

قال: وروي عنه ﷺ: «من أكرم عالمًا فكأنما أكرم سبعين نبيًا ومن أكرم متعلمًا فكأنما أكرم سبعين شهيدًا»، وأنه قال: «من صلىٰ خلف عالم فكأنما صلىٰ خلف نبي ومن صلىٰ خلف نبي فقد غفر له».

ونقل الشرمساحي المالكي في أول كتابه نظم الدر عن النبي ﷺ أنه قال: «من عظم العالم فكأنما يعظم الله تعالىٰ ومن تهاون بالعالم فإنما ذلك استخفاف بالله تعالىٰ وبرسوله».

سبق أن ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربعة أحاديث عن النبي ﷺ في فضل العلم وأهله، ثم أتبعها بجملة من الأحاديث الأخرىٰ.

خامسها: حديث: («يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ») وهٰذا الحديث حديث أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» وهو حديث موضوع.

والأحاديث متكاثرة عن النبي ﷺ مستفيضة في بيان فضائل العلماء، ولم يُحْسِنِ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أورده فيما يُستقبَل من الأحاديث؛ فإن الأحاديث التي أوردها فيما يستقبل كلها لا تصح عن النبي ﷺ إلا أن لأهل العلم رحمهم الله ربما توسعوا في ذكر شيء من الأحاديث التي ثبتت أصولها عن النبي ﷺ فإن فضل العلم ثابت بأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وإنما العيب إذا اقتصر المرء علىٰ الأحاديث التي لا